A Study and Critique on the Convergence of Reality and Imagination in the Novel "Sakhab Al-Buhayrah" by Muhammad Al-Basati

Ahmed salman Gaele al-Khudhir [1] | Qasem Mokhtari [2]✉ | Mohmmad Jorfi [3] | Seyyed Abulfazl Sajjadi [4]

1. PhD Candidate, Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Literature and Languages, Arak University, Arak City, Iran, Email: a.ahmad.00@phd.araku.ac.ir.

2. **Corresponding Author**, Professor, Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Literature and Languages, Arak University, Arak City, Iran, Email:q-mokhtari@araku.ac.ir

3. Assistant Professor, Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Literature and Languages, Arak University , Arak City, Iran, Email: m-jorfi@araku.ac.ir

4. Professor, Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Literature and Languages, Arak University, Arak City, Iran, Email: a-sajady@araku.ac.ir

Article Info

Article type:

Research Article

Article history:

Received :

Revised :

Accepted :

Published online :

ABSTRACT

The novel "Sakhbeh al-Bahrain" addresses the lives of a group of people living near Lake in northern Egypt. Thus, the lake is not only a setting for the events but also a symbol of life, memories, and the struggles experienced by these individuals. The novel showcases the conflicts between humans and nature, illustrating how changes in nature have impacted people's lives and realities. The narrative possesses the ability to blend the real and the imaginary in a way that allows the audience to engage with and be influenced by the literature. When reality is bitter and imagination is beautiful, there is no better medium than the novel to combine the bitterness of life with the sweetness of dreams, through what we can call the convergence of reality and imagination. Through this concept, the novelist can present his hopes and dreams for changing reality. Therefore, this study relies on a descriptive-analytical approach to explore the elements of the convergence of imagination and reality in "The Clamor of the Lake," aiming to clarify this idea through the narrative. This novel represents a rejection of customs and traditions, framed within a well-crafted human psychological context, balancing between fantastical dreams and sorrowful wishes, thus integrating both the real and the imaginary components. Muhammad Al-Basati, through his imaginative narrative, implicitly refers to the Egyptian reality he experiences and that many

Egyptian classes live, intending to depict these classes in a somewhat fantastical manner. The novelist treats imagination as reality, making his novel a remarkable work of imaginative literature.

Keywords(3-5 words):

Convergence of reality and imagination,

Sakhbeh al-Bahrain,

Muhammad Al-Basati.

Cite this article: Author, A. A., Author, B. B., & Author, C. C. (year). Article title. *Journal Title*, 56 (1), 1-20. http//doi.org/000000000000000000

© The Author(s).

Publisher: University of Tehran Press.

DOI: http//doi.org/00000000000000000000000

المقال جاهز للنشر

دراسة ونقد عن تماهي الواقع والخيال في رواية "صخب البحيرة" لمحمد البساطي

أحمد سلمان جعيلي الخضير[١] | قاسم مختاري[٢] ✉ | محمد جرفي[٣] | سيد أبوالفضل سجادي[٤]

١.طالب الدكتوراه، قسم اللغة العربية و آدابها، كلية الآداب و اللغات، جامعة أراك، مدينة اراك، بلد ايران ،البريد الإلكتروني: a.ahmad.00@phd.araku.ac.ir

٢. الباحث المسئول، الاستاذ الكامل، قسم اللغة العربية و آدابها، كلية الآداب و اللغات، جامعة أراك، مدينة اراك، بلد ايران ،البريد الإلكتروني:

q-mokhtari@araku.ac.ir

٣. الاستاذ المساعد، قسم اللغة العربية و آدابها، كلية الآداب و اللغات، جامعة أراك، مدينة اراك، بلد ايران ،البريد الإلكتروني:

m-jorfi@araku.ac.ir

٤. الاستاذ الكامل، قسم اللغة العربية و آدابها، كلية الآداب و اللغات، جامعة أراك، مدينة اراك، بلد ايران ،البريد الإلكتروني:

a-sajady@araku.ac.ir

معلومات عن البحث

نوع البحث:

علمى

تاريخ االاستلام:

تاريخ المراجعه:

تاريخ القبول:

تاريخ النشر:

الملخص

تتناول هذه الدراسة رواية صخب البحيرة لمحمد البساطي بوصفها نصا روائياً يقوم على تماهي الواقع والخيال في تصوير حياة مجموعة من الشخصيات التي تعيش في محيط بحيرة المنزلة شمال مصر؛ حيث لم تكن البحيرة مجرد مكان للأحداث، بل تحولت إلى رمز للحياة والذاكرة والصراع الإنساني مع الطبيعة والمجتمع. تنطلق الدراسة من إشكالية تتمثل في كيفية توظيف الروائي للخيال بوصفه أداة فنية لتمثيل الواقع الاجتماعي والإنساني والكشف عن آثاره في بناء الشخصيات والأحداث؛ بعيدا عن الطرح المباشر. تأتي أهمية هذه الدراسة و ضرورتها من أهمية الخيال والواقع اللذان يشكلان حجر الأساس الأول في بناء السرد القصصي للرواية؛ فلا رواية تخلو من الواقع ولا رواية لم يتخللها الخيال. كما توضح هذه الدراسة طريقة دمج هذين العنصرين في الرواية العربية وأثرهما في البنية السردية وعناصرها. تهدف الدراسة إلى تحليل مظاهر تداخل الواقع والخيال في الرواية وبيان دلالات المكان والكشف عن الرؤية النقدية التي يقدمها الكاتب تجاه الواقع المصري؛ ولا سيما ما يتعلق بالعادات والتقاليد والظروف الاجتماعية التي تحكم مصائر الشخصيات. اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، من خلال قراءة النص الروائي وتحليل عناصره الفنية؛ ولا سيما المكان والشخصيات والبنية السردية، للكشف عن آليات التماهي بين الواقع والخيال ودلالاتهما. وقد توصلت الدراسة إلى نتائج؛ منها: أن الرواية تمثل نموذجا فنيا ناجحا في تحويل الخيال إلى واقع سردي قادر على التعبير عن هموم الإنسان وأحلامه وأن محمد البساطي استطاع من خلال البناء التخييلي للرواية، تقديم صورة نقدية للواقع المصري، تجمع بين مرارة الواقع وحلم التغيير، في إطار إنساني نفسي متقن يجعل من صخب البحيرة عملاً أدبياً تخييلياً بامتياز.

الكلمات المفتاحية:

تماهي الواقع والخيال،

محمد البساطي،

رواية صخب البحيرة.

الإستشهاد: الإسم العائلی، الإسم؛ الإسم العائلی، الإسم؛ الإسم العائلی، الإسم (سنة). عنوان البحث. *عنوان المجله*، ۲ (٤)، ۲۰-۱.

DOI: http//doi.org/0000000000000000000000000

الناشر: مؤسسه النشر والطباعة لجامعة طهران.

DOI: http//doi.org/0000000000000000000000000

ن.

المقدمة

تعدّ الرواية فن أدبي معاصر اكتسب سطوته على المجتمع من خلال محاكاته بأسلوب جمالي يؤثر في المتلقي وهذا ما جعل الرواية الفن الأدبي الأكثر انتشار في المجتمعات ، بالإضافة إلى كون الرواية تمتلك أدوات أسلوبية وفنية قادرة على نقل كل الأحلام والآمال إلى الواقع عبر الكلمة؛ لذلك كانت الرواية بمنزلة الجسر الذي ينتقل عبره من واقع إلى خيال يشعر وكأنه يعيشه حقيقة. وقد كان الروائيون عموما مدركين أهمية الأدب الروائي ومدى تأثيره في المجتمع؛ هذا ما جعلهم يتخذون من هذا الفن الأدبي وسيلة فعّالة يخاطبون بها قلوب المتلقين قبل عقولهم. يتجسد مفهوم الواقع والخيال بشكل عام حول مدى توافق ما يراه الإنسان أو ما يستحيل رؤيته أو تحققه و كثير ما تُطرح التساؤلات حول هذا الموضوع في علاقته بالأدب بشكل عام والروايات والقصص بشكل خاص؛ حيث لا يتوقف مفهوم الواقع والخيال عند حدود ما يحصل في الحياة اليومية أو ما يخطر في بال العقل البشري وتجسدات اللاوعي لديه. كما قدعرف عن العقل البشري سعيه لكشف المجهول واللامكشوف وتقديم الكثير من التخيلات والفرضيات حوله إن كانت صحيحه أو غير صحيحة وهذا ما نلاحظه عند الكثير من الروائيين والكتاب والمؤلفين. تتصل الرواية اتصالاً

وثيقا بالواقع فكثير من الروائيين يجسدونه من خلال رواياتهم ،والقارئ المطلع يعرف مدى ترابط هذه المعطيات. إذ لا بد لكل أقسام البنية السردية في الرواية من أن تساهم بشكل مباشر في أحداثها وسير وقائعها كما ولا يمكن أن تكون شخصياته خرافية أو مخلوقات غير موجودة في الواقع. ولا يمكن تجاوز قيام الكاتب بمحافظة الواقع لتحقيق أغراض معينة في نفسه قد تكون شخصية أو اجتماعية عامة ، مألوفة ومعتادة لا تصور ما يتجاوز واقعنا المعاش. وإذا أردنا الحكم على الرواية ما إذا كانت واقعية تمام أم لا ، فبالاطلاع على التعريفات المختلفة التي قدمها العديد من النقاد والباحثين ، والتي تؤكد على واقعيتها تمام بل موازاتها للعالم الواقعي ولكن وظيفتها الأولى والأخيرة هي تحقيق أهداف واقعية في نفس الكاتب. إذن فيما يخص الاتجاه الواقعي في الرواية يقف المتلقي أمام أحداث قد شهدها من الواقع أو عاينها فيه ، من خلال تجربته أو تجارب غيره وذلك بغرض فهم الأحداث وتحديد مفاهيم خاصة وقد حفلت مجالس القراء بمعجبي الأدب الواقعي.

أما الخيال فهو أهم جزء من أجزاء الكتابة الروائية وهو يجسد أحداثا لا يمكن التحقق من واقعيتها أو حقيقتها ويقدم الكاتب إبداعه في تركيبها وإعادة هيكلتها وتشكيلها لتكوين أحداث وشخصيات خيالية تبتعد عن الواقع ولكنها ترتبط به بشكل أو بآخر. ويختلق الكاتب أحداثه المتخيلة من وحي إبداعه وملكة الخيال الأدبي لديه. وفي السرد القصصي يتماهى الواقع والخيال معا أيض؛ فالعالمان لابد أن يتقاطعا ويتحدا لتكوين نص روائي يفي بحاجة العمل الفني في تقديم الحكاية بصورة مبتكرة جديدة تغني عقل القارئ وتأخذه إلى عالم من الأحداث والإبداع والتماهي لتكوين قصة روائية محكمة الترابط بين الواقع والخيال.

أهم ة الدراسة و ضرورتها:

تأتي أهمية هذه الدراسة و ضرورتها من أهمية الخيال والواقع اللذان يشكلان حجر الأساس الأول في بناء السرد القصصي للرواية؛ فلا رواية تخلو من الواقع ولا رواية لم يتخللها الخيال. كما توضح هذه الدراسة طريقة دمج هذين العنصرين في الرواية العربية وأثرهما في البنية السردية وعناصرها.

أسئلة البحث

١. ما هي مظاهر تماهي الواقع والخيال في رواية *صخب البحيرة* لمحمد البساطي؟
٢. كيف تمّ توظيف الخيال في الرواية بوصفه عنصر فني في تمثيل الواقع الاجتماعي والإنساني؟
٣. ما هو دور المكان ، ولا سيما بحيرة المنزلة ، في تحقيق تماهي الواقع والخيال داخل البنية السردية للرواية؟
٤. كيف أسهم تماهي الواقع والخيال في بناء الشخصيات وتنامي الأحداث في الرواية؟

فرضيات البحث

تنطلق الدراسة من فرضيات أولية يتم اختبارها من خلال الوصف والتحليل النصّي للرواية ، دون إصدار أحكام مسبقة؛ اعتماد على تتبّع مظاهر تماهي الواقع والخيال في مختلف عناصر البناء الروائي؛ منها :

١. تفترض الدراسة أن رواية *صخب البحيرة* تتضمن مظاهر متعددة لتماهي الواقع والخيال تتجلّى في السرد والمكان والشخصيات والأحداث.
٢. تفترض الدراسة أن الخيال في الرواية يُوظَّف بوصفه أداة فنية لتحليل الواقع الاجتماعي والإنساني؛ لا بوصفه عنصراً منفصلاً عنه.
٣. تفترض الدراسة أن بحيرة المنزلة تمثّل عنصر مكاني ذا دلالة رمزية أسهم في دمج الواقعي بالتخييلي داخل النص الروائي.
٤. تفترض الدراسة أن تماهي الواقع والخيال أسهم في تعميق البعد النفسي والفني للشخصيات وفي تطوير البنية السردية للرواية.

الدراسات السابقة

وقفت هذه الدراسة على عدد من الأبحاث والدراسات النقدية التي تناولت أعمال محمد البساطي عامة و رواية *صخب البحيرة* خاصة وقد تنوعت هذه الدراسات في مناهجها و زوايا معالجتها؛ إلا أنها لم تتناول الرواية من منظور تماهي الواقع والخيال الذي تسعى هذه الدراسة إلى معالجته.

تُعد دراسة فتحي أبو رفيعة الموسومة بـ «*صخب البحيرة: صراع القوة وإرادة البقاء*» ، المنشورة في مجلة إبداع سنة ١٩٩٦م ، من أوائل الدراسات التي تناولت الرواية؛ حيث ركّز الباحث على البعد الأنثروبولوجي والميثولوجي و ربط النص بصراعات إنسانية كبرى تتصل بفكرة التطور الإنساني وصراع القوة؛ مستند إلى إشارات تاريخية ودينية وفلسفية ، دون التوقف عند آليات التداخل بين الواقع والخيال بوصفها تقنية سردية واعية.

وفي عام ١٩٩٧م ، قدّم نجيب العوفي دراسة بعنوان «*قراءة في رواية صخب البحيرة*» نُشرت في مجلة البيان الكويتية ، تناول فيها الرواية من منظور جمالي ، مبرز حساسيتها الشعرية وتداخل الأجناس الأدبية فيها؛ ولا سيما تقاطع الرواية مع القصة القصيرة والقصيدة؛ مركز على اللغة والأسلوب ، دون تحليل البعد الواقعي—التخييلي في تشكيل الرؤية السردية.

أما دراسة أحمد محمد السيد موسى *«رمزية القرية في قصص محمد البساطي القصيرة»* المنشورة في مجلة المعرفة سنة ٢٠١٢م ، فقد اهتمت بالمكان السردي ورمزيته في القصص القصيرة وأبرزت قدرة البساطي على توظيف المكان الواقعي لإنتاج دلالات جمالية؛ غير أنها لم تتناول رواية *صخب البحيرة* ولم تبحث في إشكالية تماهي الواقع والخيال.

وفي سنة ٢٠١٧م ، نشرت اعتدال عثمان دراستها *«محمد البساطي وحكاية الزمكان في روايته صخب البحيرة»* في مجلة الشارقة الثقافية ، حيث ركّزت على العلاقة بين الزمن والمكان ، وبنية السرد ودور الذاكرة الجمعية في تشكيل الحكاية؛ مع إبراز ثبات المكان وتحوّل الزمن ، دون التوسع في تحليل الخيال بوصفه أداة لإعادة إنتاج الواقع.

وفي عام ٢٠١٩م ، صدرت دراستان في مجلة عمان؛ الأولى لحسن عبد الموجود بعنوان *«أدب البساطي على ميزان الذهب»* ، وقدّمت قراءة نقدية شاملة لتجربة البساطي الأدبية؛ مبرزة خصوصيتها الفنية وأهميتها ، أما الثانية لحسين حمودة بعنوان *«صياغات جمالية في أدب البساطي»* ، فقد ركزت على التشكيل الجمالي والصوت السردي في أعماله؛ مؤكدة فرادة أسلوبه ، دون تخصيص معالجة مستقلة لرواية *صخب البحيرة* من زاوية التماهي بين الواقع والخيال.

كما تناولت دراسة مصطفى كمالجو ومريم أطهري نيا ، المنشورة بالفارسية سنة ١٣٩٨هـ/٢٠١٩م في مجلة پژوهشنامه ادبيات داستانى الإيرانية ، رواية *صخب البحيرة* في ضوء نظرية التحليل النقدي للخطاب عند نورمان فيركلاف ، حيث حللت الخطاب الروائي على مستويات الوصف والتفسير والتبيين؛ مبيّنة علاقته بالبنية الاجتماعية والطبقات المهمشة؛ غير أن تركيزها انصبّ على الخطاب الاجتماعي ، لا على التشكيل التخييلي وتداخله مع الواقع.

وعليه ،تتمايز هذه الدراسة عن الدراسات السابقة في أنها تتناول رواية *صخب البحيرة* من منظور جديد يتمثل في تحليل تماهي الواقع والخيال بوصفه تقنية فنية ورؤية فكرية تسهم في تشكيل البنية السردية وتكشف عن موقف الكاتب من الواقع الاجتماعي والإنساني. كما تسعى الدراسة إلى بيان كيف تتحول الخيال في الرواية إلى أداة لتمثيل الواقع ونقده ، وليس مجرد عنصر جمالي أو زخرفي ، وهو ما لم تتناوله الدراسات السابقة.

نبذة عن رواية "صخب البحيرة"

تدور أحداث هذه الرواية ضمن إطار أسطوري خيالي ، قسمها البساطي إلى فصول وكل فصل منها حكاية مختلفة في شخصياتها وأحداثها. والرابط الوحيد الذي يجمع بينها جميعا ، هو البحيرة ،وما تعطيه لهم ،أما الشخصيات فتبقى على حالها دون تغيير. تبدأ الرواية بحكاية رجل عجوز يتجول في أنحاء البحيرة دون أن يصيبه الملل ، لكنه حين أحس باقتراب منيته ، أخذ يبحث عن شاطئ لحفر حفرة فيه ويجلس إلى جانبها حتى تأتي ساعته. وأخذ الصياد يغير فكرته ، فبدلاً من القبر أقام كوخا ، وكأنه يريد أن يلمس الحياة وجمالها قبل أن يموت ، وعندما وجد الكوخ جاءت امرأة وولداها ، لتعبر الحكاية وتفرح نفسها. وبعد نهاية فصل الصياد ، استوحى الكاتب من واقعه وذكريات ماضيه وزاد في أحداث الرواية بحرا ، وشخصية جمعة وامرأته اللذان كانا يبحثان في نفايات البحر ، ليظهر صندوق

يأخذه جمعة ، وقد عبر الكاتب عن هذه الشخصية بطابع واقعي ، وكان هذا الفصل يسمى بـ(النوة). ويأتي بعده فصل (البراري) ، ليظهر شخصية عفيفي ، وشخصية كراوية ، وفي الفصل الأخير (ورحلوا) ، ليظهر شخصية المرأة التي كانت في فصل الصياد ، وقد صارت عجوز ، وأصبح ولداها شابين يافعين ، كما وقد أخذا عظام الصياد المدفونة في الشاطئ ورحلا. إذن فالبحيرة هي ما تجمع الشخصيات في الفصول الأربعة للرواية. الفصل الأول للرواية يحكي عن صياد عجوز يمضي الوقت في قاربه الأسود الغريب ، ثم تظهر أرملة تبيع الأسماك ليكون الصياد والأرملة وولداها المستقرين الأوائل على شاطئ البحيرة.

أما الفصل الثاني ، يحكي عن جمعة وزوجته ، والتي تخرج مع العواصف لتجمع نفايات البحر عن شاطئه ، لتعثر فيما بعد على صندوق موسيقي يسحر جمعة ، لتصبح حياة الزوجين مختلفة ، إلى أن يختفي بطريقة غامضة. والفصل الثالث ، عن كراوية وعفيفي ، الصديقان القادمان جزر البحيرة ، واللذان يكرهان البدائيين الذين يسطون على القرية ، والوجهة الأولى لهم كانت مقهى كراوية وعفيفي ، وقد اختفيا ، وقيل أنهما انضمام إلى اللصوص. وفي الفصل الرابع ، تعود الأرملة للظهور مع ولديها ليرحلوا فيما بعد.

١- الشخصيات في الرواية بين الواقع والخيال

تعد الشخصيّات العنصر الأبرز والأهم في بناء العمل الروائي ، فهي بمثابة العمود الفقري للرواية ، تحمل بين طيّاتها ما يريد الكاتب أن يوصله إلى القارئ من بنى فكرية وعقليّة وسلوكات؛ فالشخصيّة هي محور الفكرة والرأي العام الذي يريده الروائي والقاص (هلال ، ١٩٩٧م: ٥٢٦).

ان الشخصيّة عنصر ثمين لفهم العمل الروائي فالرواية لا تقوم بلا شخصيات ، فتتشكل من خلالها الأصوات ويقوم عبرها الحوار ومنها ينطلق مضمون الرواية وفكرها المنشود ، فالشخصية تنقل للقارئ حياة الشخص فتبدو وكأنها صورة أمام القارئ يراها بعينه ويلمس تفاصيلها ، فيشعر بالشخص ويتعاطف معه ويفكّر بهمومه ومتاعبه (راجع: بحراوي ، ١٩٩٠م: ٢٠٨)؛ لذلك فإن وظيفة المتلقي أن يبذل كل جهده من أجل فهم وتفسير الشخصيّة الروائية التي ابتكرها الكاتب ، ومن ثمّ القيام بربط تلك الشخصية بما يشبهها في العالم الواقعي (قسومة ، ١٩٩٤م: ١٠١). وفي عملية رسم الشخصية الروائية يبدو جانبان اثنان ، جانب واقعي وجانب تخيلي ، وهذان الجانبان يتفاعلان وفق ديناميكية تعكس الترابط والانسجام بين هذين الجانبين ، فالجانب الخيالي يقرب لنا الجانب الواقعي ، والجانب الواقعي هو انعكاس للعالم المتخيل المشيد (راجع: مرتاض ، ١٩٩٨م: ٨٣ ؛ كريم ، ٢٠٢٢م: ٥).

١-١- شخصيّة العجوز الصيّاد:

بدأ الكاتب روايته وقد أطلق على الفصل الأول منها اسم الصياد العجوز ، هذه الشخصيّة التي راح يصفها الكاتب في هذا الفصل وسلط عليها الضوء بكل تفاصيلها الجسدية والروحيّة ، وهي شخصيّة يبدو الهرم والكبر عليها ،

التجاعيد على وجه ذلك العجوز كانت كفيلة بالكشف عن عمره ، وبما أنّ العجوز كان وحيدا فإنّ ذلك دفع بمن حوله من الأشخاص إلى الحكم عليه بأنه لا يملك أقارب أو حتى أصدقاء ، وهذا ما نلمسه في الاقتباس التالي من الرواية حيث قال الكاتب:

"كانَ صيّاد عجوز جاءَ ذاتَ يومٍ واستقرَّ في المكانِ. رَأوه دائما عجوز ربّما بسبب تجاعيد وجههِ الكثيرة وانحناءة كَتفيهِ ، يقولونَ إنَّهَ كانَ مقطوع من شجرةٍ ، فلم يروه يوما معَ أحد ، يتجوّل ليلاً ونهار بقاربه في البحيرة" (البساطي ، ١٩٩٧م:١٠).

ومن هنا نجد أنّ التفاصيل البسيطة التي أشار إليها الروائي في المقطع السابق يوحي بالواقعية ، فالتفاصيل اليوميّة التي كان يقحمها الكاتب في حديثه عن الشخصيات هي التي كانت تشير للقارئ أنّ الموضوع من صلب الحياة الواقعيّة ، فالناس من حول ذلك العجوز كانوا يشعرون بالخوف والاضطراب كلما لمحوه اقترب منهم هو أو قاربه الأسود الذي كان يبعث الكدر والتوتر في نفوسهم(راجع: المصدر نفسه: ١٢).

ومن خلال تتبّع مسيرة شخصيّة الصيّاد العجوز في الرواية نلمح أنّ الكاتب كان يعطي تلك الشخصيّة بعض مخاوفه وتوقّعاته المستقبليّة ، وهذا مما كان يوحي بالواقعيّة للقارئ عندما يقرأ تلك الرواية فيلمس بين سطورها شظايا نفسيّة تبعثرت من نفسيّة الكاتب كانت قد أثّرت عليه مسبقً أو أنّها تؤثّر عليه في الوقت الحاضر ، ومن هذا ما ورد في الاقتباس التالي الوارد في الفصل الأوّل من الرواية ، حيث يقول البساطي:

"تراه المرأةُ عندما يأخذُ السيرَ بامتدادِ شاطئ البحرِ حتّى يختفي عن عينيها ، وتراهُ بعدها يخطو متمهّلاً متجهّما متلفّعا بجلبابٍ قديمٍ يحدّق إلى المياهِ ، في مثلِ هذه اللحظات يبدو كأنّما قد شاخَ مرةً واحدةً ، هزيلاً ضامر الوجهِ ، تخشى الاقتراب منه ، يلتفتُ إليها فجأةً ، عيناهُ الحمراوان وكأنّه لم ينم الليل بطوله" (المصدر نفسه: ١٩).

فمن خلال النّصّ السّابق راح الكاتب يضخّ بين سطوره مخاوفه من الكبر والعجز ، فوصف العجوز وصفا دقيقا ومخيفا في ذات الوقت ، وكأنّه يرينا نفسه في المستقبل فيصوّر العجوز على أنّه شخص تهابه الناس وتخاف منه وتخشى الاقتراب منه.

١-٢- شخصيّة عفيفي:

هذه الشخصيّة التي بانت ملامحها في الفصل الثاني من رواية صخب البحيرة ، فهو شخص يعيش في بيئة مملوءة بالفقر ، إلا أنه رغم ذلك يمتلك شعور قوي بالانتماء لمجتمعه المحليّ في تلك القرية البسيطة ، أما علاقاته مع من حوله من الناس فهي غالبا غريبة ومضطربة يطغى عليها التوتر ، فهو شخص بعيد كل البعد عن الراحة والاطمئنان ، شخص يحاول الانخراط مع محيطه إلا أنّ شعور الاغتراب هو الذي كان سيّد الموقف ، وهذا ما نلمسه بين سطور الرواية عندما تحدث الروائي عن عفيفي ، حيث ورد في أحد صفحاتها:

"يبحثونَ عن عفيفي ليفتحَ بوابة الهويس ، ينتظرونه على السكّةِ حين يكونُ في مشوارٍ ما ، يقولُ لهم إنّه لا يستطيع فالمياهُ قليلةٌ أيضا في النهرِ ، ويقول لهم إنّها الأوامر ولو مرّ أحدهم — وهم دائما ما يمرّون- ورأى البوابةَ مفتوحةً في غير الموعد:

ماذا تظنون أنّه سيحدث؟ راكبا حمارته صغيرة الحجم ، وساقاه المنحسر عنهما الجلباب مطويّتانِ على جانبيها حتى لا تلمس قدماهُ الأرضَ" (المصدر نفسه: ٤٩).

فمن خلال المقتطف السابق من الرواية نلمس أنّ الروائي محمد البساطي قد استقى مادّة شخصيّة عفيفي من الواقع الذي كان يعيش فيه ، فالفقر قد سيطر على ملامح تلك الشخصيّة وكذلك البساطة في العيش ، وهذا ما يمكن استنباطه من قوله (حمارته صغيرة الحجم ، ساقاه المنحسر عنهما الجلباب) ، فكل تلك الإشارات توحي بأنّ شخصيّة عفيفي رغم أنّها شخصيّة من وحي الكاتب ومن خياله ، إلا أنّ بذورها ترجع إلى الواقع المعاش من قبل الكاتب. ومن الجدير بالذكر أنّ شخصيّة عفيفي كما أشار إليها الكاتب كانت شديدة الالتزام بالقواعد والقوانين ، فعفيفي يتحمّل مسؤوليّة بشكل كبير ويحرص على الالتزام بواجباته ، وهذا قد يكون فيه إشارة طفيفة إلى شخصيّة الروائي البساطي. وإذا بحثنا أكثر عن تفاصيل هذه الشخصيّة في الرواية ، نلمح أنّها شخصيّة مصارعة للحياة مليئة بالتناقضات الداخليّة تهرب من الفشل والعزلة ، وهذا ما يمكننا استنباطه من قول الروائي البساطي عنها:

"وعندما يصلُ إلى بيتهِ ينظرُ إليهم وقد أطبقَ فمهُ الخالي من الأسنان وتجعّد وجهه: وحتّى لو فتحتها طول اليوم! محدّقا بغضبٍ في الوجوه القريبةِ منهُ: الأمر لله ، ويستديرُ بحمارتهِ وهم حوله متّجها إلى الهويس" (المصدر نفسه: ٥٠).

فمن خلال الجمل التي قالها عفيفي في النص السابق نلاحظ أنّ إيمانه بالله قد غلب خوفه وتوتّره ، فقد كان إنسانا يسلّم أموره لله وحده رغم كل الاضطرابات التي كانت تحيط به ، رغم غضبه إلا أنّه لم يتكلّم مع أولئك الأشخاص بأسلوبٍ فظّ أو عنف ، بل كظم غيظه وتحكّم بأعصابه ، وهذا ما يمكنني أن أقول عنه أنّه إشارة خفيّة إلى شخصيّة الكاتب.

كما يمكننا القول انّ شخصيّة عفيفي تشير إلى الروائي من موقعٍ آخر ، فالبساطي وضّح لنا بين سطور روايته أنّ عفيفي هو إنسان يسعى بكل ما أوتي من قوّة وحكمة إلى إصلاح ما حوله وإلى تغيير المجتمع الذي يحيا به ، ولكن الأمر لم يكن سهلاً البتّة ، بل كانت معاناته تزيد بسبب كونه لا يستطيع اتخاذ قرارات تحدّ من صراعه كفرد مع بيئته ومع الناس في مجتمعه. وهذه ومضات خفيّة لواقع الروائي محمد البساطي فالبيئة والمجتمع التقليدي الذي كان قد عاش فيه كان لا يمثّله في كثيرٍ من المواقف وفي كثير من الأفكار والمعتقدات ، فربّما أراد من خلال عفيفي في روايته هذه أن يسلط الضوء على هذا الجانب الخفي من حياته ، فعلى الرغم من نفحات الخيال في هذه الشخصيّة إلا أنّ الكاتب رسمها بألوان واقعيّة تعكس صورته ربما وربما صورة الإنسان البسيط الذي يسعى المجتمع إلى تقييده والحدّ من رأيه وخاصّة المجتمعات الريفيّة التقليديّة.

١-٣- شخصيّة جمعة:

وهي شخصيّة رجل صيّاد كان فقير يعتمد على صيد الأسماك من البحر ، وتعينه امرأته الكادحة على ذلك ، لا يمتلكان أبناء ، بل كانوا يسلّون أنفسهم بالبحيرة وما ترميه البحيرة من أشياء على الشاطئ بالقرب من بيتهم ، شخصيّة جمعة كانت شخصيّة عميقة نوعا ما يعرف كيف يتعامل مع المشاكل والعراقيل من حوله ، أمّا فئته فكان ينتمي إلى فئة ليست بمرئيّة في كثير من المجتمعات ، طبقة فقيرة تحيا في ظروف صعبة وقاسية ، تعاند الطبيعة ومجرياتها للبقاء ، وتحاول التكيف مع من حولها من أجل تحدّي العالم ومواجهته ، وخير دليل على هذا ما ورد في الرواية:

"عنده الآن مجموعة يُعلّقُها على الحائط ، تلكَ الليالي حينَ يصفو الجوُّ ، يدخل الحجرةَ تتبعهُ امرأتهُ تحملُ الفانوسَ ، كانَ قد أعدَّ لنفسهِ فرشةً بداخليها ، حصيرة فوقَها عباءة من صوفِ الغنمِ ومخدّة ، الحجرة تعبقُ برائحةِ عطنِ البحرِ التي تفوح من الأشياءِ..." (المصدر نفسه: ٦٤).

فمن خلال هذا الاقتباس نلمح ملامح البساطة في العيش والفقر أيضا لدى شخصيّة جمعة ، وهنا أراد الكاتب أن يشير إلى كيفيّة عيش تلك الطبقة الفقيرة التي لا يكترث لهمومها أحد ، وربّما كان الكاتب أحد أفراد تلك الطبقة ، فسوء العيش دفع بجمعة وامرأته للتفكير خارج الصندوق ، فبعد أن كان اعتماده بشكلٍ كبيرٍ على الصيد من تلك البحيرة ، صارت امرأته ثم هو أيضا يجنحان لالتقاط الأشياء من الشاطئ وإعادة تدويرها وبيع ما يمكن بيعه منها في المدينة ، وهنا يشير الكاتب بشكلٍ ضمنيّ إلى إبداع وابتكار تلك الطبقة وأولئك الأفراد وكيفية إعمال عقلهم في سبيل تحقيق طموحهم في العيش عيشة كريمة والابتعاد عن ذل الفقر والسؤال.

فعلى قدر ما كانت شخصيّة جمعة شخصيّة من عالم الخيال الأدبي ، فإنّها شخصيّة حقيقيّة نوعا ما ترجع إلى الواقع المعيشي والنفسي الذي عاش به الكاتب وأصحاب الطبقات الفقيرة أيضا ، فمن خلال هذه الشخصيّة استطاع الكاتب من وجهة نظري أن يسلّط الضوء على أحلام تلك الطبقة البائسة وطموحاتها.

٢- الزمن الروائي بين الواقع والخيال

يعتبر الزمن قياسا لعمر الإنسان ومراحل حياته ، فهو جزء من الحياة ، والزمن يمثّل الماضي والحاضر والمستقبل كما أنه يترك أثر بالغ في الإنسان ، فالزمن يقوم بإبطاء ساعات الحزن والألم ، ويقوم بتسريع ساعات الفرح والسعادة ، وهذا ما يجعل الحياة متوازنة نوعا ما (راجع: عبدالرحمن ، ١٩٨٨: ٦٤ ؛ مرتاض ، ١٩٩٨م: ١٧١). ويعدّ العمل الروائي تركيبة معقّدة من الزمن من بدايته إلى نهايته ، في مضمونه وفي تسلسل أحداثه ، في تتالي الكلمات وترتيب الأجزاء ، فالزمن يتعلق بكل نواحي النص الروائي ، في الشكل والموضوع واللغة أيضا (مندلاو ، ١٩٩٧م: ٧٥). فعنصر الزمن يوضح طبيعة وماهية العمل الروائي باعتبار مضمون الرواية مرتبط ارتباط وثيق بالزمن ومعالجته ، وهذا يعني أنّ الزمان هو أحد اللبنات الأساسية المهمة التي تبنى عليها الرواية. ولهذا يُعدّ الزمان من أهم العناصر في الرواية فمن خلاله

تتغير الأحداث في النص الروائي أو القصصي وهو يعتبر عنصرا أساسيا لا يمكننا الاستغناء عنه في عمليّة إنساء الأحداث الروائي (راجع: شابي ، ٢٠٢٠م: ٢٥٩).

وقد قال عبد الملك مرتاض في هذا السياق: من المستحيل أن يتخلّص شخص ما ، أو شيء ما أو فعل ما ، أو تفكير ما أو حركة ما من سلطة الزمن (مرتاض ، ١٩٩٨م: ٣٤). ومن هنا لا بدّ لنا أن نذكر أنّ الدراسات والأبحاث التي أقيمت حديثا ، والتي تفرّغت للحديث عن الزمن الروائي اعتمدت في الأساس على مدوّنات سردية سواء كانت هذه المدونات قديمة أو حديثة ، ولم تعتمد على معايير أو مقررات سابقة تمّ استخلاصها أساسا من دراسات بعيدة عن مجال السرديات ، فكانت دراسات نقديّة جادّة ، عملت على رصد أشكال وتمظهرات الزمن وأنواعه أيضا في النصوص الروائيّة ، على اعتبار أنّ الزمن عنصر من أبرز العناصر التي تقوم بتكوين البناء السردي العام في النص الروائي (راجع: ابوهف ، د.ت: ٢٤؛ يقطين ، ١٩٩٧م: ٦٢).

فالزمن يعتبر من أهم المكونات والأساسات التي تبنى عليها الرواية ، ويمكننا القول إن الزمن هو صلب الرواية ولبّها ، فعندما حاولت غرترود شتاين أن تحذف الزمن من رواياتها فشلت فشلاً ذريعا ، فقد أرادت أن تلغي هيمنة الزمن على السرد وأن تعبر عن الحياة من خلال القيم فقط ، فتراها لم تستطع التعبير لا عن القيم ولا عن الحياة ، ومن هنا كان الزمن عند فورستر تعبيرا اصطلاحيا عن القصة (خليل ، ٢٠١٠م: ٤١). والزمن الروائي يملك أشكالاً عدّة ، فالزمن الروائي يعتبر قيمةً تسيطر وتهيمن على كامل أجزاء الرواية ، فهناك زمن خارجي تم أخذه من حقائق موجودة في الواقع وثابتة فيه ، وهناك زمن نفسي داخلي مرتبط بنفسية الروائي ومشاعره وهذا مرتبط أيضا بالخيال (باهي ، ٢٠٢٢م: ١٩). ولا بد من الإشارة هنا إلى أن الكاتب والروائي لا يعد مجبرا على أن يجري الأحداث في الرواية بشكلٍ مرتب ومتسلسل كما هي في العالم الواقعي.

كما أن الروائي ليس ملزما بالحفاظ على الخط الطبيعي للزمن ، فربما يكسر الزمن ويبدأ السرد من نقطة معيّنة يختارها هو ، كما يمكنه أن يرجع في الزمن ، ثم يكمل السرد بالاتجاه الأول ، فللروائي حق التقديم والتأخير ، الاستباق والاسترجاع في أي مقطع شاء الروائي ، سواء في البداية أو في النهاية أو حتى في الوسط ، وهذا ما أطلق عليه اسم المفارقات الزمنيّة (بنكراد ، ٢٠٠٨م: ٨٨). وإذا عدنا إلى رواية صخب البحيرة وتتبعنا سير الزمن في هذه الرواية وعلاقته بتماهي الواقع والخيال فيها ، نجد أنّ الروائي هنا لم يسر على خطٍّ زمني معروف أو ملموس ، حيث كان الروائي يستخدم أسلوب غير تقليديّ في مسألة الزمن ، فتارة يتحدّث عن الماضي وذكرياته ، ثم ينتقل إلى الحاضر ، ومنه الروائي ينوّع بين الأحداث الواقعيّة التي عاشها بطل الرواية ، وبين أحلامه وخيالاته التي كان يهجس بها في مخيّلته ، وهذا ما جعل فكرة تماهي الواقع والخيال حيّة في هذا العنصر الروائي. فها هو الشاعر يحكي أحداثا من الزمن الماضي ، هو ما يسمى بالاسترجاع ، فيقول:

"ظلّ المكانُ زمناً طويلاً غير مطروق ، كانَ البحرُ مجهولاً من الصّيادين ، لم يختبروه ، يتوقفون بقواربهم الصغيرةِ عندَ حدودِ البحيرةِ وأحيانا يلتصقون بجانبي المضيق ويتشبثون بعيدانِ الغابِ" (البساطي ، ١٩٩٧م: ٩).

فهنا البساطي يحكي في بداية روايته عن خوف الصيادين في بداية الأمر من البحر ، وعلاقتهم به وكيف كانوا يخشونه ولا يحاولون التقرب منه أو اختباره حتى ، وهذا باب من أبواب الواقع ولكن عن طريق استرجاع الزمن ، فالروائي يتحدث بشكل واقعي وحقيقي عن المشاعر التي رافقت الناس والصيادين تجاه البحر وكيف كانوا في البداية غير معتادين عليه ولا مستأنسين به. فالروائي في هذه الرواية عمل جاهدا على إبراز فكرة الصراع بين ذاكرته ومستقبله من خلال عنصر الزمن الذي لم يسخره في الرواية بشكل تقليدي معروف من بداية الرواية إلى آخرها ، بل استخدم أسلوبي الاستباق والاسترجاع في هذا ، وهذا ما عكس فكرة تماهي الواقع والخيال في الرواية ذاتها. وفي مكان آخر من الرواية قال محمد البساطي متحدثا عن الصياد العجوز:

"غابَ ثلاثَ سنواتٍ وعاد ، كانَ شديد النحولِ وقد ازداد انحناء كتفيه ، لم يجدْ أثر للخطّ الذي حفره ، غيرَ أنّ عصاهُ كانت هناكَ ، بعد أن أخذ دورة واسعة بالمكان ، جمعَ العشبَ وأوقدَ النّارَ" (المصدر نفسه: ١٢).

ذلك الصياد العجوز الذي لم يكن أحدا يتقبله ، راح الروائي يتحدث عنه وعن مستقبله وما حل به بعد أن غادر تلك البحيرة ، حيث بدت عليه علامات التقدّم بالعمر من نحول وشحوب وغير ذلك ، ومن وجهة نظر خاصّة فإنّ هذه اللمحة المستقبليّة توحي لنا بالنظرة الواقعيّة الداخليّة للروائي ، وكأنه يبوح من خلالها عن مشاعره ومخاوفه المستقبليّة ، ويشير ضمنيّا إلى الخوف من الوحدة والعزلة وعدم تقبّل المجتمع له. أي كانت هذه اللفتة من باب الكشف الواقعي عن الهواجس التي تعجّ في ذهن الروائي وقلبه ، ومشاعره التي اكتظّت في صدره. ومن أجل أن يوحي الروائي محمد البساطي للمتلقي بأنّ الأحداث مأخوذة من الواقع وليست من محض خياله ، فقد جنح إلى أسلوب ذكر الوقت أو الزمن في كل مقطع وعند أكثر الأحداث في روايته ، ومنه قوله:

" كانَ الوقتُ ليلاً عندما أغلقَ البابَ ورقدَ في القاربِ.....السّوقُ مزدحمٌ في مثلِ هذهِ الساعةِ من الصّباحِ... رآها قادمةً والشمسُ توشكُ على المغيبِ تحملُ على رأسها الطشت ....." (المصدر نفسه: ١٥- ١٦). فعنصر التوقيت الذي كان يضيفه الكاتب على نصوصه وفقراته في الرواية السابقة ، هو الذي يشعر القارئ أنّ الأحداث حصلت بالفعل على أرض الواقع ، ولكن عندما يسرد بعض الأحداث يلاحظ القارئ تماهي فكرة الواقع والخيال ، حيث يضمّن الأحداث شيئا من الخيال ويبثّ من خلالها أحلامه وعواطفه أيضا.

٣- اللغة الروائيّة بين الواقع والخيال

تعتبر اللغة أداةً من أدوات الأدب بشتّى أنواعه ، وبما أنّ الرواية هي نوعٌ من أنواع الأدب ، فإنّ اللغة تعتبر حتما أداةً من أدواتها الرئيسة ، إنّ الأداة التي تتشكل من خلالها عناصر الرواية الأخرى ، فالعمل الروائي هو تشكيلٌ بنائيّ مميّز ، والخطاب الروائي لا يمكن تحديده بالقصّة وحسب ، بل ما تتضمّنه من مفرداتٍ وتعابير وجمل توحي للقارئ

بأكثر من القصّة ذاتها ، تأخذ المتلقي إلى أبعد من زمان ومكان وشخصيّات وأحداث الرواية ، والرواية لا تمتلك لبنة أخرى تقيم من خلالها عالمها إلا اللغة. ومن هذا المبدأ لا يمكننا أن نقيّم رواية ما أو نحكم عليها ، إلا إذا تمّ الاهتمام باللغة والطريقة التي تشكّلت من خلالها تلك الرواية (العسيلي ، ١٩٩٥م: ٢٨٧).

فمن خلال اللغة تتكلّم الشخصيّة ، ويتم اكتشاف الأحداث ، ومن خلال اللغة يتعرّف القارئ على البيئة في الرواية ، ومن خلالها أيضا يتّضح للقارئ التجارب التي يحاول الكاتب والروائي التعبير عنها من خلال روايته (عثمان ، ١٩٨٢م: ١٩٩). ومن هنا يمكننا تسجيل مستويات للغة السردية الروائية:

٣-١-اللغة السرديّة التسجيليّة:

وهنا ترى الروائي لا يبتعد عن التجريد والشفافيّة في لغته ، فيركّز على واقعيّة الأحداث وجوهرها ، وتراه ينقل الأفكار ومجريات الأحداث بكلّ دقّة وشفافيّة ووضوح ، فيصف الواقع المرير والحياة اليوميّة للشخصيّات وكذلك كلّ ما يدور في داخل الشخصيّة ، وأيضا يصف ملامح الأمكنة والعوالم بلغة سهلة وبسيطة وواضحة ومباشرة ، فهنا تكون اللغة إخباريّة وكأنها أداة لنقل الأحداث الواقعيّة فقط وترى الروائي لا يتوغّل في التصويرات الشعريّة بغية إيصال المعلومة السرديّة للقارئ بأسهل وأيسر وسيلة ممكنة على الإطلاق ، فتشع اللغة بالواقعيّة ويبتعد الروائي عن الأخيلة (حمدان ، ٢٠٠٨م: ١١٦).

٣-٢- اللغة السرديّة التّجسيديّة:

فالروائي عندما يريد أن يعبّر عن عالم خياليّ أو حدث خارق للعادة ، أو أسطورة من الأساطير ، يقوم بإخضاع اللغة المباشرة إلى أنماط أسلوبيّة بديعة وهي ما تسمى باللغة السرديّة التجسيديّة ، فيعتمد في لغته على التصوير الاستعاري ، ويستخدم الألفاظ والرموز الموحية ذات الدلالات المتعددة ، كما يلجأ إلى اللغة التي تنبض بالإيقاعات ، اللغة الملوّنة بالبيان والبديع ، فترى الكاتب يرفض سكونيّة اللغة ويتمرّد عليه ، من أجل استغلال الطاقة الكامنة للغة (المصدر نفسه: ١٢٠). فالذي يميّز اللغة التجسيدية أو يمكن تسميتها باللغة الخياليّة هو جنوح الكاتب لاستعمال الصور البيانيّة والتشابيه والرموز والكنايات والاستعارات ، وهذا ما تفتقده اللغة التسجيليّة أو بمسمىً آخر اللغة الواقعيّة. ومن هنا يمكننا دراسة ظاهرة المد والجزر بين الواقع والخيال في اللغة في رواية صخب البحيرة وفق التقسيمات التالية:

٣-٣- اللغة الواقعية والتي تظهر من خلال:

- الوصف الدقيق الذي كان يصفه الروائي محمد البساطي للبيئة من حول الشخصيّات ، مثل وصفه للبيوت على جانب البحيرة ، ووصفه الدقيق للأماكن العامة في الضاحية ، ووصف الشوارع وغيرها الكثير ، ولكن كل ذلك كان

دون إقحام الطابع الخيالي على وصفه. فترى الشخصيات تقوم بالكشف عن العيوب الاجتماعية ، فيستحضر الكاتب شخصية إيجابية داعمة ، أو شخصية سلبية ، مما يخلق حالة واقعية تشي بالخصوصية وتوحي بطابعٍ محلي (الهاجري ، ٢٠٠٩م: ٣٥٠). ومنه قول الروائي في الرواية: "بيتُه نظيفٌ واسعٌ ، به كلّ شيء ، أجولة الأرز والقمحِ مصفوفةٌ في مندرةٍ وزلع السّمن والجبنِ ، وعشة فراخٍ وبطٍّ وبرج حمامٍ فوقَ السّطحِ" (البساطي ، ١٩٩٧م: ٢٨)؛ فالكاتب هنا راح يصف بيت ذلك الشاب وصفا دقيقا فصوّر للقارئ مطبخ البيت وعدد الأصناف الموجودة فيه ، كما أنّه عيّن لنا طريقة ترتيبها ، حتى تظنّ نفسك أمام ذلك الطبخ تراه بأمّ عينك ، وهذا إن أوحى بشيءٍ فإنّه يوحي بالواقعيّة ، فتصوير الكاتب لأدقّ التفاصيل في مطبخ ذلك الشابّ — على الرغم من أن المتلقي لا يستفيد منها شيئا- يُشعر المتلقي بواقعيّة الأحداث ويبعده عن فكرة الطابع الخيالي في القصّة.

- تصوير الكاتب للحياة اليوميّة للشخصيّات وأعمالها الروتينيّة ، مثل ذهاب الرجل إلى العمل ، وقيام المرأة بالأعمال اليوميّة من طبخٍ وتنظيف ونحو ذلك ، كل تلك التفاصيل التي سردها الكاتب كانت توحي باللغة الواقعيّة وبالتالي سيطرة عنصر الواقع على النص والابتعاد عن الخيال. ومن ذلك قول الروائي وهو يتحدّث عن شخصيّة جمعة وزوجته: "يجلسُ جمعة وامرأتُه في ليالي الصّيف على مقعدين فوقَ العتبةِ يشربانِ الشّايَ وفوقَ رأسيهما الفانوسُ معلّقا بشراعة البابِ يضيءُ خافتا تلتفّ حولهُ سحابةٌ من النّاموس" (المصدر نفسه: ٦٢). فالكاتب في الاقتباس السابق يصوّر لنا كيفيّة مرور الحياة في الصّيف لدى شخصيّة جمعة وزوجته ، ويظهر لنا روتينهما المسائي في ذلك البيت البسيط الكائن على الشاطئ ، فهما كل ليلة يجلسان على مقعدين اثنين موجودين على العتبة ويحتسيان الشاي أيضا ، ويستنيران بالنور الخافت لذلك الفانوس القديم. فهذا الوصف والتصوير التفصيلي لتلك الجلسات العائليّة لجمعة وزوجته ، يجعلنا نلمس الواقعيّة في حديث الروائي ، وكأنه جعلنا أمام صورة حيّة لجمعة وزوجته في تلك الليالي (فتحي ، ١٩٩٥م: ٤).

- الحوارات التي كان يضعها الكاتب في نصّه كانت حوارات طبيعيّة ذات لغةٍ سهلة قريبة من الإنسان العادي ، حوارات خالية من التعقيد والغموض في مفرداتها ومعانيها المرجوّة أيضا ، كما أنّ جملها كانت جملاً قصيرةً ومباشرةً ، كل ذلك في سبيل تحقيق عنصر الواقعيّة في النص. وقد عُرّف الحوار بأنه أسلوب من أساليب التواصل ، وتبادل الحديث بين طرفين ، أو عدة أطراف. ويعتبر الحوار في العمل الروائي قاعدة رئيسة في الصّرح الروائي. ومن أمثلة هذا النمط من الحوار في نصوص رواية صخب البحيرة لمحمد البساطي ، الحوار الذي دار بين النسوة في القرية ذات يوم بعد أن رأوا بقايا الطعام والعظم مرميّة على باب بيت جمعة وزوجته: "ضاني. آه ضاني. فخذة ، وزند ، هذه عظمة الزند. من يسمعكِ يظنُّ أنّكِ تأكلينَها كلَّ يومٍ. آه ، في بيتِ أبي ، قبلَ أن أتزوجَ. هو وهي ولا ولدَ لهما ويأكلانِ كلَّ ذلك"(البساطي ، ١٩٩٧م: ٦٢). فالحوار السابق الذي دار بين شخصيّتين بسيطتين من شخصيات القرية يشير إلى واقعيّة الأحداث وصدقها ، فشخصيتان فقيرتان بسيطتان من الطبيعي أن تتكلمان بلغة عاميّة خالية من الألفاظ الجزلة الغريبة الغامضة ، فذلك يوحي بصدق الحوار وواقعيّته ، وكذلك فإنّ موضوع الحوار بذاته يوحي بالواقعيّة.

- قيام الكاتب بوصف ملامح الشخصيّات وملابسها وطباعها بطريقةٍ مباشرةٍ بعيدة عن التخييل ، فعندما يقدّم الكاتب شخصيّة من الشخصيّات للقارئ يقوم بتفصيل ملامح جسدها ووجهها ، ويصف لباسها وطباعها أيضا من باب تصوير الشخصية بهيكلها الداخلي والخارجي أيضا حتى يظنّ القارئ نفسه أنّه أمام شخصيّة يعرفها ويراها ماثلةً بخياله بكل تفاصيلها التي رواها الكاتب.

٣-٤-اللغة الخياليّة والتي بدت في الرواية من خلال:

وضع الصور والتشبيهات في الجمل والعبارات التي استخدمها الكاتب ، فكان كثيرا ما يلجأ الروائي محمد البساطي في هذه الرواية إلى تجميل عباراته ومنحها شيئا من الرونق والحيوية ، وكل هذا يقوم بإعطاء أبعاد خياليّة للواقع. وخير مثال على هذا قول الروائي: "الدرعُ نالته ضربةٌ قويّةٌ شقّت جانبه ، وأكلَ الصدأُ حوافَهُ وزحفَ إلى وسطه فطمسَ معالمَ نقشٍ كان محفورا على سطحه..." (المصدر نفسه: ٦٦)؛ فالكاتب شبّه الضربة بالإنسان الذي يشقّ الدرع ، وشبه الصدأ بالإنسان الذي يأكل ممّا جمّل عبارته التي قالها متحدّثا عن ذلك الدرع الذي وجدوه في بقايا النوة. فالتشابيه التي أطلقها الروائي ضمن جمله وعباراته عملت على تجميل الحالة وإعطائها نوعا من الخيال ، حتى تظنّ أنّ الضربة تشق والصدأ يأكل ، وكل ذلك كان في سبيل التخييل.فكانت التشابيه أداة قويّة من الأدوات التي منحت الرواية حيويّة وتأثير وتميّز ، بالإضافة إلى ذلك فإنها تثير الخيال وتجعل المتلقي يتفكّر بطريقة خارج المألوف والمعتاد.

- كثرة الانزياحات اللغويّة التي استخدمها الكاتب في روايته ، فكان كثيرا ما ينزاح اللفظ عن معناه الحرفي المعهود إلى معانٍ مجازيّة أو خياليّة. ومن أمثلته ما جاء في الرواية: "الصوتُ رغم نبرته الحزينة يتدفّقُ بحيويّةٍ يُذكّرهُم باندفاعِ المياه في القنواتِ حين تُفتحُ السّدود" (المصدر نفسه: ٧٥)؛ فالبساطي هنا استخدم فعل يتدفّق وهو يحكي عن الصوت ، إلا أنّ فعل يتدفّق من المعروف أنّه يستخدم للمياه أي للسائل ، وقد أعطى هذا الانزياح للصوت صفات فيها حركة وحياة وانسياب ، فالكاتب صوّر الصوت هنا على أنّه شيء ماديّ يمكن رؤيته ورؤية انسيابه. فالروائي استخدم هنا الانزياح اللغوي مما منح لغته أثر خياليا ، فصار المتلقي يتصور أن ذلك الصوت رغم نبرته الحزينة إلا أنه كان محمّلاً بالحيويّة والطاقة.

-وجود الرموز في لغة الكاتب يعطي الرواية طابعا خياليّا(السعدون ، ٢٠١٥م: ٣٧)؛ كما نلاحظ أنّ البساطي جنح إلى استعمال بعض الأساطير والرموز الأسطوريّة التي كانت معروفة لدى بعض القدماء ، ومنه ما جاء في أحد المقتطفات من الرواية: "يتوسّطها وجه حيوانٍ يكشّر عن أنيابِهِ ، منحوت من خشبٍ ، مدهون بلونٍ أسود ، نابان بارزان مدببا بلونٍ أبيض تشوبه صفرة ، قالت: من العظم؟ وربما أسنان حيوان ، فئران كبيرة..... كانوا على ما سمعتُ يُعلّقونَها برقابِهم لتمنعَ عنهمُ الأذى" (البساطي ، ١٩٩٧م: ٦٨). فمن خلال النص السابق نلاحظ أنّ الكاتب أشار إلى شيءٍ كان معروف في المجتمعات القديمة وهو أنّ القدماء كانوا يأخذون أنياب الحيوانات القويّة المفترسة وعظامها ، ومن ثم يجعلون منها تعليقةً يعلّقونها في رقابهم زعما منهم أنّها تمنع عنهم الأخطار والحوادث على اعتبار أنّ تلك الحيوانات قويّة ، فكانت من وجهة نظرهم مثل الدرء الذي يحميهم ويخفف عنهم مخاوفهم. فتلك الإشارة إلى هذه الظاهرة

أضفت على النص السابق نفحات من الخيال ، وجعلت لغة الكاتب يسيطر عليها البعد الخيالي أيضا(راجع: جنداري ، ٢٠١٣م: ٢٤ ؛ عزة ، ٢٠٢٢م: ٥٠).

وبرأيي فإنّ البحيرة كانت بمثابة رمز للوعي والذاكرة والذكريات؛ فالصياد العجوز كلما كان ينظر إليها كان يتذكر ذكرياته في الصيد وأيام رحلته في تلك البحيرة ، وزوجة جمعة والنساء جيرانها كانت البحيرة لهم بمثابة رمز للحياة والنهوض والخروج من قوقعة الفقر. وكلمة صخب التي جاء بها الكاتب في عنوان روايته ترمز برأيي إلى أنواع الصراعات التي عانت منها كل شخصيّة من الشخصيّات التي ارتبطت بالبحيرة ، سواء كانت تلك الصراعات صراعات داخليّة أو خارجيّة. كما يمكننا أن نعتبر أنّ الصندوق الذي عثرت عليه زوجة جمعة في النوة كان رمز أيضا ، فهو يرمز إلى الغموض أولاً حيث عمل جمعة جاهدا هو وزوجته على فتحه إلا أن كل محاولاتهما باءت بالفشل ، حتى أنّ جمعة قرر أن يأخذه إلى المدينة ويسأل أصحاب الخبرة ومدرسي اللغات الأجنبية من أجل فك شيفرات ذلك الصندوق ومعرفة ما يتضمنه من أسرار ، حتى أنّه لم يستطع ترجمة تلك الجملة التي كانت تتردد على مسامعه كلما همّ بفتح الصندوق.كما أنّني أرى أنّ الصندوق المجهول كان بمثابة رمز للفقر أو الغنى ، أي أنه لو كان يحوي أشياء ثمينة وفاخرة فإنه سيغير مصير جمعة وعائلته ، وسينتقلان من حياة الفقر إلى حياة الرخاء والغنى والسعادة ، بينما لو كان ما بداخله سخيفا فإن جمعة وزوجته سيشعران بالإحباط والخسارة وسيظل وضعهما المعيشي والاجتماعي كما هو. أي أنّ جمعة وزوجته كانا ينظران إلى الصندوق على أنه القشّة التي ستنتشلهما من مستنقع الفقر والحاجة والذل ، وكأنه عنوان الخلاص من كل مآسيهما وآلامهما وظروفهما الصعبة. وكلّ الرموز السابقة التي يشير إليها ذاك الصندوق العجيب ما هي إلا حيل أسهمت في جعل لغة الكاتب البساطي تميل إلى الخيال وتنحى منحنى بعيد نوعا ما عن الواقع المعاش. وممّا سبق نجد أنّ البساطي لجأ إلى استعمال اللغة الرمزيّة ممّا هيأ لولادة عالم خيالي يتماهى فيه الواقع والخيال.

النتائج

مما سبق ومن خلال التحليلات السابقة نجد أنّ عمليّة التطرّق لموضوع تماهي الواقع والخيال في هذه الرواية لا يمكن الإلمام بها بكل حذافيرها وهذا ما يخلق الجدل؛ فالواقع مرجعه إلى الدنيا ، بينما الخيال فهو افتراضي يرجع إلى الواقع؛ فروايتنا هنا قامت بتقديم أحداث خياليّة ولكن ضمن قالب واقعي؛ فنرى الكاتب محمد البساطي من خلال روايته الخيالية تلك ، أشار ضمنيا إلى الواقع المصري الذي يحياه هو والذي تعيشه العديد من الفئات المصرية وخصوصا التي تعيش في أحياء شعبية تعاني الفقر والقلة والتهميش؛ فأراد الكاتب أن يشير إلى تلك الطبقات بطريقة خياليّة نوعا ما؛ فالروائي هنا تعامل مع الخيال على أنه واقع ، فكانت روايته عملاً أدبيا تخييليا بامتياز.

في رواية صخب البحيرة بدت الأمكنة متنوّعة بين الواقع والخيال؛ فالمكان الأول وهو البحيرة كان مكانا ومن وحي خيال الكاتب إلا أنّه موجود حقيقة وقصد به بحيرة المنزلة في مصر. أمّا الأماكن الأخرى مثل السوق ومنزل جمعة و زوجته ، والمنازل التي كانت قرب البحيرة ، كانت خياليّة اخترعها الكاتب وأسكن فيها شخصيّاته وصمّم داخليّاتها لتتناسب مع وضع تلك الشّخصيّات. وبالنسبة للبلدة ، فهي أيضا من نسج خيال الكاتب محمد البساطي ولكن من خلال رسم ملامحها وهمومها وسكانها تبيّن لنا أنّه يحاكي واقع البلدات الشعبيّة التقليديّة في مصر؛ تلك البلدات التي تعتبر مهمّشة من قبل الناس ولا أحد يكترث لهمومها أو مشاكلها.

استخدم الروائي الرمز في عنوان روايته ، فرمز من خلال كلمة صخب إلى الصراعات الداخلية والضجيج النفسي الذي عانت منه شخصيات روايته ، وكذلك رمز من خلال البحيرة إلى رموز كثيرة يمكن لنا استخراجها وفقا لكل شخصيّة من شخصيّات القصة: شخصيّة الصياد العجوز كانت ترمز لها بحيرة الوحدة والاغتراب والوحشة. وشخصيّة جمعة وزوجته كانت ترمز إليهما بحيرة الرزق والفرج ومحاولة التحرر. وشخصيّة كراوية وعفيفي كانت ترمز لهما بحيرة الغموض والخوف من المجهول. أي أنّ البحيرة هنا كانت مرآة لكل شخصية تعكس ما تعانيه وما تفكر به في عوالج نفسها وما تعانيه من صراعات داخليّة ، وإن كان الرمز يوحي بشيء هنا فهو يوحي بعالمٍ من الخيال تصوّره الكاتب وأراد للقارئ أن يتصوّره بنفسه أيضا. في هذه الرواية كان الكاتب هو الراوي بنفسه وكان يسرد الأحداث ويتكلم بلسان الشخصية عند كل واقعة. وطغى على اللغة في الرواية الواقعيّة ، فأكثر الكاتب من الحوارات الطبيعيّة بين الشخصيّات و تحدّث عن التفاصيل اليومية والتفاصيل المادية والاجتماعية للشخصيات؛ كما أنّه صوّر الحياة اليومية وكذلك المشاعر النفسيّة للشخصيّات وهذا يعطى نفحات من الواقع للرواية؛ فالكاتب أكثر من اللغة الواقعيّة و في المقابل استعمل اللغة الخيالية المليئة بالاستعارات والتشبيهات والأخيلة بشكلٍ أقل.

المصادر والمراجع

أبو نجم ، ماريان(٢٠٢١م). *وظيفة الحوار في الرواية* ، بيروت: دار الجيل.

أبو هيف ، عبد الله(د.ت). جماليّات المكان في النقد الأدبي المعاصر ، مجلّة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلميّة ، سور ا ، العدد١ ، المجلد٢٧ ، ص١٢١-١٣٨.

الأخضر ، ابن السائح(٢٠١٣). *جماليّات المكان القسنطيني قراءة في ذاكرة الجسد؛ دراسة نقديّة تحليليّة* ، الجز رة: دارالليواء.

باهي ، صفيّة ، ولدمية بن البار (٢٠٢٢م). *الواقع والخيال في رواية حكاية صابر لمحمود عيسى* ، جامعة محمد بوضياف مسيلة ، الجزائر.

بحراوي ، حسن(١٩٩٠م). *بنية الشكل الروائي* ، ط١ ، بيروت: المركز الثقافي العربي.

البساطي ، محمد(١٩٩٧م). *صخب البحيرة* ، القاهرة: القصر العيني.

بنكراد ، سعيد(٢٠٠٨م). *السرد الروائي وتجربة المعنى* ، ط١ ، المغرب ، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

تاورته ، محمد العيد(٢٠٠٤م). تقنيات اللغة في مجال الرواية الأدبية ، مجلة العلوم الإنسانية ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، الجزائر ، العدد٢١ ، ص٥١-٦٢.

جنداري ، إبراهيم(٢٠١٣م). *الفضاء الروائي في أدب جبرا إبراهيم جبرا* ، ط١ ، دمشق: تموزه للطباعة والنشر.
حمدان ، عبد الرحيم(٢٠٠٨م). اللغة في رواية تجلّيات الروح للكاتب محمّد نصّار ، مجلة الجامعة الإسلاميّة ، سلسلة الدراسات الإنسانيّة ، العدد٢ ، المجلد١٦ ، ص١٠٣-١٥٧.
خليل ، إبراهيم(٢٠١٠م) ، *بنية النص الروائي* ، ط١ ، الجزاير: الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت: منشورات الاختلاف.
السعدون ، نبهان حسون(٢٠١٥م). *بنية تشكيل الخطاب* ، ط١ ، عمان: دار الغيداء للنشر والتوزيع.
سليمان ، ميساء(٢٠١١م). *البنية السردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة* ، سوريا: منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، وزارة الثقافة.
شابي ، سعاد(٢٠٢٠م). *الزمن السردي في النص والروايات* ، بيروت: دار الجيل.
الضبع ، مصطفى(١٩٩٨م). *استراتيجية المكان* ، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة.
عبد الرحمن ، محمد(١٩٨٨م). *مع الفلسفة اليونانية* ، ط٣ ، بيروت: منشورات دار عويدات.
عثمان ، عبد الفتاح(١٩٨٢م). *بناء الرواية دراسة في الرواية المصريّة* ، القاهرة: مكتبة الشباب المنيرة.
عزة ، خيرة ، وآمنة حمودي(٢٠٢٢م). *البنية السردية في رواية صخب البحيرة لمحمد البساطي* ، الجزائر: جامعة محمد بوضياف.
العسيلي ، ثريا(١٩٩٥م). *أدب عبد الرحمن الشرقاوي* ، القاهرة: الهيئة المصريّة العامّة للكتاب.
العيسى ، بثينة(٢٠١٨ م). *طريقة الحوار الروائي* ، الكويت: مؤسسة مكتبة تكوين في الكويت.
فتحي ، إبراهيم(١٩٩٥م). قراءة نقدية في رواية صخب البحيرة ، مجلة العربي أدب ونقد ، العدد٤٤٢ ، ص١-١٠.
قسومة ، الصادق(١٩٩٤م). *طرائق تحليل القصة* ، تونس: دار الجنوب.
كريم ، فاطمة لطيف(٢٠٢٢م). الشخصية في قصص صالح مطروح السعيدي ، جامعة واسط ، مجلة كليّة التربية ، العدد٤٦ ، المجلد١ ، ص١-١٢.
مرتاض ، عبدالملك(١٩٩٨م). *بحث في تقنيات السرد* ، الكويت: سلسلة عالم المعرفة.
مرتاض ، عبدالملك(١٩٩٨م). *في نظرية الرواية* ، عالم المعرفة ، رقم السلسة ٢٤٠ ، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
مندلاو ، عبدالرحمن الرواشدى أنس(١٩٩٧م). *الزمن والرواية* ، ترجمة: بكر عباس ، ط١ ، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر.
الهاجري ، سمحي(٢٠٠٩م). *جدلية المتن والتشكيل الروائي الطفرة الروائية السعودية* ، ط١ ، بيروت: مؤسسة الانتشار العربي.
هلال ، محمد غنيمي(١٩٩٧م). *النقد الأدبي الحديث* ، القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر.
يعقوبي ، محمد(د.ت). *الوجيز في الفلسفة* ، ط٣ ، الجزائر: الشكرة الوطنيّة للنشر والتوزيع.
يقطين ، سعيد(١٩٩٧م). *تحليل الخطاب الروائي* ، ط٢ ، بيروت: المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع.

Reference

Abdul Rahman, Muhamma(1988) .With Greek Philosophy .٣rd Edition. Beirut: Dar Awidat .Publications(In Arabic).

Abu Haif, Abdullah(.n.d) .The Aesthetics of Place in Contemporary Literary Criticism .(In Arabic).

Abu Najm, Marian(2021) .The Function of Dialogue in the Novel. Beirut: Dar Al-Jil .(In Arabic).

Al-Akhdar, Ibn Al-Sayeh(2013)The Aesthetics of the Constantine Place: A Reading in the . .Memory of the Body a Critical Analytical Study. Al-Jazeera: Dar Al-Liwa(In Arabic).

Al-Asili, Thuraya(1995)The Literature of Abdul Rahman Al-Sharqawi. Cairo: Egyptian . .General Book Authority(In Arabic).

Al-Basati, Muhammad(1997) .The Clamor of the Lake. Cairo: Al-Qasr Al-Aini .(In Arabic)

Al-Dabaa, Mustafa(1998) .The Strategy of Place. Cairo: General Authority for Cultural Palaces . (In Arabic).

Al-Eissa, Buthaina(2018)The Method of Narrative Dialogue. Kuwait: Takween Library . .Foundation in Kuwait(In Arabic).

Al-Hajri, Samhi(2009) .The Dialectic of the Text and Novel Formation: The Saudi Novel Leap . ١ .st Edition. Beirut: Arab Renaissance Foundation(In Arabic).

Al-Saadoun, Nabhan Hassoun(2015) .The Structure of Discourse Formation .١st Edition. .Amman: Dar Al-Ghaida for Publishing and Distribution(In Arabic).

Azza, Khaira, and Amina Hamoudi(2022)The Narrative Structure in the Novel "The Clamor of . .the Lake" by Muhammad Al-Basati. Algeria: Mohamed Boudiaf University(In Arabic).

Bahi, Safiya, and Waldamiya Bin Al-Bar(2022)Reality and Fantasy in the Novel "The Tale of . .Saber" by Mahmoud Issa, Mohammed Boudiaf University. M'sila, Algeria(In Arabic).

Bahrawi, Hassan(1990) .The Structure of the Novel Form .١st Edition. Beirut: Arab Cultural .Center(In Arabic).

Benkrad, Said(2008) .Narrative Discourse and the Experience of Meaning .١st Edition. Morocco. .Casablanca: Arab Cultural Center(In Arabic).

Fathi, Ibrahim(1995)A Critical Reading of the Novel "The Clamor of the Lake". Al-Arabi . Journal of Literature and Criticism. Issue٤٤٢ .pp .١-١٠(In Arabic) .

Hamdan, Abdul Rahim(2008)Language in the Novel "Manifestations of the Soul" by the Writer . Muhammad Nassar. Journal of the Islamic University. Series of Human Studies. Issue٢ . Volume١٦ .pp .١٠٣-١٥٧(In Arabic) .

Hilal, Muhammad Ghoneimi(1997)Modern Literary Criticism. Cairo: Nahdet Misr for Printing . .and Publishing(In Arabic).

Jandari, Ibrahim(2013) .The Narrative Space in the Literature of Jabra Ibrahim Jabra .١st .Edition. Damascus: Tamouz for Printing and Publishing(In Arabic).

Journal of Tishreen University for Scientific Studies and Research. Syria. Issue١ Volume .٢٧ . .pp١٢١-١٣٨(In Arabic) .

Karim, Fatima Lateef(2022)The Character in the Stories of Saleh Matrouh Al-Saeedi, Wasit . University. Journal of the College of Education. Issue٤٦ Volume .١ .pp .١-١٢(In Arabic) .

Khalil, Ibrahim(2010) .The Structure of the Narrative Text .١st Edition. Algeria: The Arab .House of Sciences. Beirut: The Contribution of Difference(In Arabic).

Mandalaw, Abdul Rahman Al-Rawashi Anas(1997)Time and the Novel. Translated by Bakr . .Abbas١ .st Edition. Beirut: Dar Sader for Printing and Publishing(In Arabic).

Murtad, Abdul Malik(1998)A Study in Narrative Techniques. Kuwait: Knowledge World . .Series(In Arabic).

Murtad, Abdul Malik(1998) On the Theory of the Novel. Knowledge World. Series Number . ٢٤٠ .Kuwait: National Council for Culture Arts and Letters .(In Arabic)

Othman, Abdul Fattah(1982)The Construction of the Novel: A Study in Egyptian Novels. . .Cairo: Al-Shabab Al-Munira Library (In Arabic).

Qasouma, Al-Sadiq(1994) .Methods of Analyzing Stories. Tunisia: Dar Al-Janoub .(In Arabic).

Shabi, Souad (2020) .Narrative Time in Texts and Novels. Beirut: Dar Al-Jil .(In Arabic).

Suleiman, Maysa(2011)The Narrative Structure in the Book "The Enjoyment and . Companionship". Syria: Publications of the Syrian General Book Authority Ministry of .Culture(In Arabic).

Tawarta, Muhammad Al-Eid(2004)Language Techniques in the Field of Literary Novel, Journal . of Human Sciences, Mentouri University. Constantine. Algeria. Issue٢١ .pp .٥١-٦٢ .(In Arabic).

Yaqtin, Said (1997) .Analysis of Narrative Discourse .٢nd Edition. Beirut: Arab Cultural Center .for Printing Publishing and Distribution (In Arabic).

Yaqubi, Muhammad (.n.d) .The Concise in Philosophy .٣rd Edition. Algeria: National Company .for Publishing and Distribution (In Arabic).